مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: سوسيولوجية "ثورات" الربيع العربي (دراسة تحليلية لفعل الثورات العربية)
اسم الكاتب: أ.د. بلقيس محمد جواد
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/222
تاريخ الاسترداد: 2026/11/22 17:16 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

سوسيولوجية "ثورات" الربيع العربي
(دراسة تحليلية لفعل الثورات العربية)

د. بلقيس محمد جواد(*)

الملخص

كانت البيئة النفسية للشعوب العربية متضخمة كالبالون، تنتظر اللحظة المناسبة للانفجار، منذ حرب ٥/ حزيران/١٩٦٧. وكانت الظروف الموضوعية السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية وتلاقيها مع الظروف الذاتية، تتحين ذات الفرصة المناسبة.

لقد كان العامل الاجتماعي القدح المعلى بتحريك تلك اللحظة التغييرية، حين لعبت الأعراف الاجتماعية العربية دورها الاجتماعي، والذي تمثل بصفعة الشرطية التونسية فادية حمدي للشاب محمد بو عزيزي بحرق نفسه، بدأت لحظة شروع التغير في العالم العربي والذي وصف بالربيع العربي، تيمناً بالحركات الاجتماعية التي سادت أوربا في القرن الماضي.

المقدمة:

احتفلت تونس بمرور سنة على تحريرها من نير الاستبداد في ٢٠١١/١/١٤، وجرت انتخاباتها التشريعية وفاز الحزب الإسلامي النهضة الذي كان محضورا في عهد الرئيس السابق علي زين العابدين. وكذلك مصر هي الأخرى احتفلت يوم ٢٠١١/١/٢٥ بانتصار ثورتها، باستقالة الرئيس حسني مبارك من الحكم بعد "٣٠ عاماً" من الحكم الديكتاتوري. ولقد أُجَريت الانتخابات الرئاسية في ٢٠١٢/٧/٩،لانتخاب رئيس جمهورية جديد، كانت المنافسة بين ١٢ مرشحاً، ونسبة المشاركة ٤٦،٤%.

أن هذه الانتخابات الديمقراطية لا عهد لها في الحياة السياسية لأهل مصر منذ ١٤٦ عاماً،حيث عرفت مصر أول انتخابات لها في عام ١٨٦٦ لاختيار مجلس

(*) **كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.**

استشاري للملك الخديوي إسماعيل بناءاً على رغبته في ذلك، إلا أن هذا المجلس أستطاع أن ينتزع صلاحيات برلمانية حقيقية في مجال التشريع والرقابة.*

أما ليبيا، فلها وضعها الخاص الذي خاضته في ربيعها المجازي، حرب طاحنة مع نظام القذافي، استطاعت، وبمساعد حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية، من أن تتخلص من نظامها المستبد، لكنها لازالت تعاني من مشاكلها الداخلية، غياب الدولة وغياب المؤسسة العسكرية" الجيش النظامي"، وغياب الدستور،أدخل البلاد في فوضى عارمة، صدم ما بين الإسلاميين والليبراليين، وصدم ما بين المرتزقة والثوار، وكان آخرها ألقتال في مطار طرابلس٢٠١٢/٦/٣ حيث أن بعض من المرتزقة الروس للنظام السابق كانوا يسعون لاحتلال المطار، وكذلك صدم ما بين الميلشيات " الثوار" ذاتها، حيث أن كل شخصية سياسية من المجلس الانتقالي له ميليشيته الخاصة،نظراً لتضارب الأهداف وتباين الطموحات. ناهيك عن اقتتال القبائل فيما بينها حول رئاسة الدولة من جانب، ومن جانب آخر هناك بعض القبائل كانت مستفيدة من النظام السابق، تسعى لإيجاد موقع لها في العهد الجديد.

لعل انتخاب المجلس الوطني في ٢٠١٢/ ٦/١٩ يشكل بارقة أمل في تشكيل لجنة لكتابة الدستور، ويخرج البلاد من وضع أللاستقرار. مع العلم أن محافظة بنغازي، أجريت أول انتخابات ديمقراطية لها في ٢٠١٢/٥/١٩ لانتخاب مجلس بلدية، أنها المحافظة التي كانت بداية لشروع الثورة ضد النظام الديكتاتوري، الذي استولى على الحكم في ١/ أيلول/ ١٩٦٩ بانقلاب عسكري ضد النظام الملكي.

أما الجانب الشرقي للعالم العربي ومنها دول الخليجية كالبحرين ومن ثم اليمن، فلازال وضعهما الربيعي مبهماً حيث لم تخرج بعد من حالة عدم الاستقرار، رغم الاتفاقية مع الرئيس علي عبد الله صالح وسفره إلى الولايات المتحدة، والذي أعتذر للشعب اليماني بعد إن صدر قرار بمنح الحصانة له ولأعوانه، ووعد بالرجوع إلى اليمن لرئاسة حزبه وممارسة الحياة السياسية من جديد، وفعلاً عاد وبدأ بالتدخل في سياسية الحكومة الجديدة، مما سبب تصادماً بين شباب الثورة الرافض لوجوده ولحزبه وأعوانه، وخاصة أهله وأقرباءه في المؤسسة العسكرية من جانب، والتصادم مع الحكومة الجديدة/

القديمة من جانب آخر، وأيضا الحرب الشرسة والتصادم مع فلول القاعدة المسيطرة في بعض مناطق الجنوب.

يرجع وجود القاعدة في جنوب اليمن إلى عام ١٩٨٢، حين شجع الرئيس السابق علي عبد الله صالح مجموعة من العرب الأفغان بالدخول إلى الجنوب لغرض ضرب النظام الماركسي الذي كان متربعاً على السلطة آنذاك.

أما البحرين ولجان التحقيق التي خرجت بنتائجها والتي لم ترض المعارضة بشكل كامل، فأوضاعها لازالت قلقة، حيث عادت التظاهرات إلى الشارع من جديد وسقوط قتلى من المحتجين الذين يطالبون بتأسيس نظام ديمقراطي تعددي يحترم حقوق الإنسان في ظل ملكية دستورية. مما أستدعى إلى تدخل قوات درع الخليج، وفي مقدمتها القوات السعودية والإماراتية، وذلك لعدم استطاعة قوات الشرطة والجيش البحراني من السيطرة على الانتفاضة الشعبية.

ولأجل سبق الأحداث والخشية المستقبلية من نتائجها، طَرحت فكرة الاتحاد بين السعودية والبحرين، وللحصول على شرعية القبول، طرحت فكرة اتحاد على صعيد مجلس التعاون الخليجي إلا أنها رفضت من قبل دولة الإمارات والكويت وسلطة عمان وقطر بالدرجة الأولى. وكذلك رفضت بشدة من قبل الشارع البحراني الشعبي، وهذا حتماً سيصعد الاحتجاجات والتظاهرات الشعبية، حيث رفعت المعارضة البحرينية شعار"البحرين وطننا"١.

ثم الإعصار الربيعي الذي تمر به سوريا منذ ١٥ شهراً، والذي يخشى أن يؤدي إلى تدخل دولي أو حرب أهلية طائفية، على الرغم من تدخل جامعة الدول العربية، وتطبيق خطة السيد كوفي عنان– الأمين العام للأمم المتحدة سابقاً– المبعوث الدولي والعربي إلى سوريا، والمساعي المبذولة من أجل إبعاد الفوضى والوصول إلى اتفاق للتسوية، يحافظ على بقاء الدولة السورية ومنعها من الانهيار، وذلك بتطبيق الديمقراطية التي تطالب بها المعارضة رسمياً. ولقد جرت انتخابات في ٢٠١٢/٥/١٠ للمجلس الوطني كي يمهد لكتابة دستور جديد، وكانت نسبة المشاركة وكما أعلنت الحكومة ٥١%، حيث شاركت بعض من الأحزاب والقوى السياسية، وكان الحزب الحاكم حزب البعث من ضمنهم. ألا أن طروحات المعارضة السورية وغاياتها، ابعد من ذلك، فهي

تحاول تدويل القضية بعرضها على مجلس الأمن، وكذلك رغبتها الملحة بتدخل خارجي على شاكلة ليبيا، على الرغم من تأكيد أمين عام حلف الناتو، بعدم التدخل في سوريا وعدم إعادة سيناريو ليبيا. ولم تنتهِ الأعمال الإرهابية فيها، من سيارات مفخخة واغتيالات وتظاهرات خاصة في ثلاث محافظات سورية هي حمص، درعا، وحما وكانت آخرها مجزرة "الحولة"في ٢٠١٢/٥/٢٥ ، والتي راح ضحيتها ١٠٠ من بينهم ٣٠ طفل. أن وضع سوريا كدولة وحزب وشعب، ينذر بالانفجار القادم والذي سيدوي في سوريا ومن بعدها لبنان ويدخل العالم العربي في دوامة الفوضى. " ٢"

ناهيك عن حركة التظاهرات المتقطعة/المستمرة، في كل من الأردن والسعودية والمغرب والكويت، ورياح التغيير التي بدأت منذ شهر في موريتانيا.

لقد استجابت الإرادة الملكية في الأردن إلى تغيير الحكومة، فخلال سنة واحدة تغيرت الحكومة مرتين لأجل أرضاء الشارع الأردني، وكذلك شُكلت لجنة لمحاسبة الفاسدين في أجهزة الحكومة،على الرغم من حزمة من قرارات التقشف التي أقرتها الحكومة تحت وطأة لازمة المالية التي تعاني منها وكانت آخرها فرض ضرائب على الغاز والكهرباء. "٣"

أما حكومة الجزائر، فقد ألغت حالة الطوارئ المفروضة منذ " ٢٠" عاماً، واتخذت سلسلة من الإجراءات والإصلاحات في مجال العمل والإسكان ومكافحة الفساد. وانتهت إلى أجراء الانتخابات التشريعية في ٢٠١٢/٥/٩ والتي نأت بنفسها عن ثورات الربيع العربي، لكن هل ستصمد؟ وبرزت شكوك حول نزاهة هذه الانتخابات؟ والتي أدت إلى تربع حزب جبهة التحرير الوطني، أي حزب رئيس الجمهورية (عبد العزيز بو تفليقة) وسيطرته على البرلمان مرة أخرى؟ يقابلها شك التحالف الإسلامي بنزاهة الانتخابات، بعد فشله في حصد الأصوات لصالحه، مما هدد باستخدام كافة الوسائل للمطالبة بالكشف عن عمليات التزوير؟ "٤"

أما في المملكة العربية السعودية، فقد طالب حوالي" ٢٠٠٠" مثقف سعودي بإقرار إصلاحات واسعة، خاصة وأن هذا البلد الثري، يعاني ٧٠% من شعبه بعدم تملكه عقار سكن خاص به. ثم موجة مطالب النسوة السعوديات، وهي جزء من موجة الإصلاحات التي يطالب بها الاصلاحيون، كما أنها تعبير عن احتجاج مدني ضد

النظام، لأجل الحصول على رخصة سياقة السيارة، والتي وصلت إلى حد تعرض النساء السعوديات أنفسهن إلى المحاكمة من أجل الحصول على حقهنَ في الحرية ومنها قيادة سيارتهنَ. ولأجل تلافي موجة الربيع العربي، أصدرت الإرادة الملكية حزمة من مساعدات اجتماعية تصل قيمتها إلى مليارات الدولارات، وكذلك إعفاء مخالفات النساء اللواتي خالفنَ قرار القيادة.

أما الكويت التي تعاني من مشاكل البدون من جانب، والصراع داخل قبة البرلمان ما بين التيار الإسلامي السلفي مع التيارات الأخرى من جهة، ثم التصادم بين التيار الشيعي والسني السلفي من جهة أخرى، والمشاكل بين البرلمان والكتلة العائلة الحاكمة من جانب آخر. وللعلم أن دولة الكويت أجريت ثلاث انتخابات برلمانية خلال سنتين وفازت التيار الإسلامي المتشدد بالأغلبية. هذا يوضح عمق الاختلافات في القوى والأحزاب السياسية، وكذلك الخشية على الديمقراطية الكويتية الهشة.

ويلاحظ أن الموجة الإسلامية وتياراتها هي الطاغية على المسرح السياسي العربي، وكاد الربيع العربي يسمى بالربيع الإسلامي ؟

المطلب الأول: ظاهرة الربيع العربي أم واقعة الربيع العربي ؟

لقد شغلت ثورات الربيع العربي كل مراكز البحوث العلمية العالمية منها والعربية من حيث المتابعة والبحث عن الأسباب والمسببات التي كانت وراء هذه الثورات، على الرغم من ظاهرة الانتخابات في بعض بلدان ثورات الربيع العربي، إلا أن حالة الاستقرار ،على ما يبدو، ليست قريبة.

سؤال يفرض نفسه: لماذا أن حالة الاستقرار ليست قريبة؟

لأن ثورات الربيع العربي ما هي إلا ظاهرة في المجتمعات العربية وليست واقعة اجتماعية سياسية. بعبارة أخرى أن هذه الثورات لم تنضج مساراتها ولم تتضح أهدافها، ولم تستقر على مبادئ محددة، نظراً لشدة الاختلافات والخلافات عند الكل سوى التيار الاسلاموي، الليبرالي، العروبي/ القومي، وقوى اليسار، لذا تعد ظاهرة لكونها سلوكية طارئة وعابرة في عقلية الأفراد الاجتماعية السياسية العربية، وعلية تحتاج إلى مدة زمنية قد تطول بعض الشيء، حتى تنضج التنشئة السياسية، وتتغير الثقافة السياسية لشعوب

العـالم العربـي، نحـو مفهـوم الحريـة، وشـرعية الاخـتلاف، والإيمـان بالديمقراطيـة كمبـدأ وأسلوب حكم، ومن ثم تبدأ عملية التحول من كونها ظاهرة اجتماعية سياسية عابرة إلى واقعة اجتماعية سياسية أصلية، عندها يعاد الاستقرار إلى العالم العربي.

لقد ميَز علم الاجتماع السياسي بين مصطلحي الواقعة والظاهرة الاجتماعية السياسية. وأن التميز بينهما يقوم على قوة وشدة التأثير في سلوكية الفرد اليومية. فمن الناحية العلمية تُعرف الواقعة الاجتماعية السياسية بأنها " الوقائع التي تنجم عن عمل الناس فيما بينهم" "٥". ونفهم من هذا التعريف بأن الجانب الاجتماعي لحياة الإنسان خاضع لشروط وقواعد المجتمع، مما يفرض عليه الالتزام المؤسس على مبدأ التأثر والتأثير، من العادات والقيم والأفكار والأعراف الاجتماعية التي يعيش الفرد في كنفها، وهذه بدوره يؤثر على السلوك الفرد اليومي، حتى تتجذر وتتأصل في اللاوعي، ثم أن طبيعة ونوعية العلائق الاجتماعية تتحدد أيضا من خلال تلك السلوكيات المتفق عليها والخاضعة لتلك الوقائع لإيمانهم وقناعتهم بها.

نستنتج من ذلك بأن الواقعة ما هي إلا سلوك متكرر يمارسه الأفراد في حياتهم اليومية بشكل متواتر، ناجم من العيش في المجتمع والعمل المشترك فيه. هذا التواتر والاستمرار للواقعة الاجتماعية، يعطي الجماعة الاجتماعية جوهرها الذاتي وشخصيتها المتميزة.

المعادلة :

العيش، العمل المشترك يخلق ← العادات، القيم، الأعراف تسيطر على ← السلوك اليومي المتكرر للأفراد وتسيره ← يخلق الوقائع الاجتماعية.

وعلى العكس من الظاهرة الاجتماعية التي تعرف بأنها ذلك " السلوك الطارئ على أفراد المجتمع تبعاً لظرف معين، وفي وقت محدد" "٦". إذاً يستخلص من هذا التعريف بأن الظاهرة الاجتماعية سلوك مفاجئ وغير معترف به من قبل المجتمع، لكونه غريب ودخيل على قيمهم وتفكيرهم وعاداتهم، يمارس من قبل البعض ولكن لم يحصل على رضا الجميع، فيحارب من قبل البعض الآخر.

ولو طبقنا ذلك نظرياً على ثورات الربيع العربي، لوجدنا أنها ظاهرة اجتماعية سياسية وليست واقعة اجتماعية سياسية. لأنها تجربة جديدة وطارئة على السلوك السياسي لشعوب العالم العربي، لكونها غير متأصلة في البنية النفسية والشخصية للمجتمع العربي. ولو حللنا الفعل الثوري الشعبي الذي مر على الواقع التونسي، بسبب ما قام به الشاب محمد بو عزيزي من حرق نفسه، لوجدنا أنها ما هي إلا ظواهر جديدة على سلوكية وعقلية وشخصية المواطن العربي، اجتماعياً/ دينياً/ ثقافياً/ وسياسياً. إذ لم يطلعنا التاريخ العربي عن قيام ثورة شعبية فعلاً، استطاعت بقوتها إسقاط أي نظام حكم عربي، فقد عرف الشعب العربي نموذج الانقلابات العسكرية، وعاش تحت سيطرة هذا النموذج من النظم السياسية القمعية، وهي السمة الساطعة لكل النظم السياسية العربية، والدليل هو أن الحكام العرب لم يفكروا بالخروج من السلطة إلا بالموت عن طريق انقلاب عسكري أو الوفاة الطبيعية.

وعليه أن الاستدلال بكونها ظاهرة جديدة على السلوكية العربية هو أنها " ثورات غير كاملة الأهداف وقد تواجه مخاطر وأشكالا جديدة للاستبداد في أشكال متعددة من الارتدادات، ولكن بذور الثورة هذه في إطار صراع سلمي وحراك شعبي وعصيان مدني، سوف لن تتوقف، وهذا الأمر الذي يفتح أمامنا بدايات الأمل للمستقبل الذي ننشده أنها صيرورة لن تتوقف " "٧".

لقد سبقت الشعوب العربية شعوب أخرى في هذه التجربة، وتعلمت منها هذه الظاهرة السياسية. فقد خاضت– وفي بداية عقد التسعينات من القرن الماضي– دول ومجتمعات أوربا الشرقية" العالم الاشتراكي" تجربة ما يسمى بـ ثورات الربيع، والتي على أثرها تساقطت أنظمتها غير الديمقراطية، الواحد تلو الآخر بقوة الثورات الشعبية، وكأنها لعبة الدومينو"٨" المرتبة والمخطط لها، وفعلاً كانت مخطط لها ومنذ عدة عقود من الزمن، أي منذ الحرب العالمية الثانية، ومن قبل العالم الليبرالي/ الرأسمالي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية، وأدت هذه الثورات إلى حرب أهلية طاحنة في بعض تلك الدول وتفكك البعض الآخر .

فهل أن الوضع العربي مماثل لما حدث في أوربا الشرقية ؟ بمعنى، هل أن الولايات المتحدة هي التي خططت إلى هذا الربيع من خلال تدريبها شباب العرب منذ

عام ٢٠٠٨ على استخدام القوة الناعمة وكما وصفها "الكاتب التونسي حداد" الموجود في فرنسا بناءاً، وكما يدعي،على وجود وثائق بحوزته تثبت ذلك ؟

بالواقع، لنبتعد ولو مؤقتاً عن فكرة المؤامرة في ثورات الربيع العربي، وعدم مقارنتها مع تسلسل للأحداث في مجتمعات أوربا الشرقية، لكن يثير موضوع ثورات الربيع العربي الكثير من التساؤلات التجريدية والنظرية منها بقدر تعلق موضوع البحث.

ثم ما هي العلاقة الترابطية بين ثورات الربيع والشعوب العربية على الصعيد الداخلي للعالم العربي؟ لأن صفة الربيع تعطي، برأينا، دلالات سياسية/ فكرية/ ثقافية عديدة، وتساؤلات كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. هل أن الربيع يعني تغيير النظم السياسية العربية، أم تفكيك الدول العربية ؟

٢ـ أم يعني بروز وعي اجتماعي/ سياسي للنهوض، لدى الشعوب العربية، لفك قيود التخلف التي تعيش فيها هذه الشعوب منذ عقود خلت؟

٣ـ هل يقصد بالربيع جيل الشباب العربي الجديد الرافض لسياسات العجائز ومنهجيتهم بالحياة التي لم تعد ملائمة لعصر الالكترونيات وعصر المعلومات ؟

٤ـ منْ الذي أيقظ مشاعر وأحاسيس هذا الجيل على حالة التردي ؟

٥. أم أن هذا الربيع يعني تبدلاً في عقلية المؤسسة العسكرية العربية من عقلية المؤامرات والانقلابات المتعارف عليها في التراث السياسي العربي، إلى عقلية حامي مؤسسة الدولة والشعب وليس السلطة؟

هذه الأسئلة وغيرها جديرة بدراسة هذه الظاهرة الجديدة، سيما وإنها تمددت وشملت الكثير من المجتمعات العربية ولم تنتهِ بعد، ثم أنها تقع في أخطر منطقة في العالم اليوم، لذا فالقلق ينتاب الشعوب العربية خشية تكرار ما آل إليه الأمر في يوغسلافيا السابقة والبوسنة والهرسك، من حرب أهلية، طائفية عرقية، أو تقسيم الدول العربية إلى دويلات، ونموذج السودان ماثل أمامنا، ثم تحقيق مشروع الشرق الأوسط الكبير المعد منذ عقود والذي ينتظر الفرصة التاريخية السانحة له، والخشية أيضا من ما سيؤول إليه الوضع في سوريا والبحرين واليمن.

المطلب الثاني: أبعاد تسمية الربيع العربي

نعتقد أن تسمية "الربيع العربي أو ربيع الشعوب العربية" تسمية غربية بامتياز. لكن السؤال الذي يفرض نفسه هو منْ الذي أطلقها ؟

لم نجد إجابة محددة على هذا السؤال. فهناك رأي يدعي بأن جريدة " كريستيان ساينس مونتر "الأمريكية هي أول من استخدمت هذه التسمية يوم ٢٠١١/١/١٥، تعليقاً على هروب الرئيس التونسي السابق "زين العابدين بن علي"٩" . ورأي آخر يدعي بأن هذه التسمية أول منْ أستخدمها الصحفي الفرنسي " دومنيك مويزي" بعد اندلاع الأحداث في مصر يوم ٢٠١١/١/٢٦ مباشرةً."١٠"

ويقال كذلك بأن الدكتور محمد البرادعي أستعمل هذا المصطلح "في نفس هذا اليوم" أي ٢٠١١/١/٢٦ في حواره مع الجريدة الألمانية "دير شبيجل " تعليقاً على التظاهرات الشبابية المصرية التي انطلقت إلى ميدان التحرير .وأخيراً هناك من أدعي بأن الرئيس براك أوباما، أو جريدة نيوز ويك الأمريكية، هي منْ استخدمت تسمية الربيع العربي"١١".

ونرى أن هذه التسمية الغريبة على الثقافة العربية ما هي إلا استعارة لحالة مماثلة سبقت وان حدثت في التاريخ الاجتماعي /السياسي لأوربا الغربية،منها على سبيل الذكر، حين قادت الطبقة الوسطى عام ١٨٤٨ في كل من فرنسا، ألمانيا، النمسا، ثوراتها مطالبة بتحقيق أهدافها السياسية وفق الظروف الموضوعية والذاتية لتلك الشعوب آنذاك، فاستخدم هذا المصطلح، الربيع الأوربي تعبيراً عن حالة رفض لسياسات الحكم فيها.

واستخدم هذا المصطلح عندما ثار شباب جامعات أوربا الغربية في أيار/ ١٩٦٨ ضد أنظمتهم السياسية/ الاجتماعية، التقليدية/ الرجعية، الكابحة لمفاهيم شباب التجديدية. لقد كان صراعاً بين جيلين، قيم جيل ما قبل الحرب العالمية الثانية، وقيم جيل ما بعد الحرب. لقد أنتفض في بادئ الأمر شباب جامعات ألمانية الغربية آنذاك، ومن ثم اتسعت الثورة وكانت أشدها تأثيراً ثورة شباب فرنسا والتي أسقطت حكومة الجمهورية الخامسة، حكومة الجنرال شارل ديغول، والتي هزت العالم وامتدت آثارها على جميع شعوب العالم آنذاك.

ثم أستخدم أيضا عام ١٩٦٨ عندما أنتفض شعب جمهورية جيكوسلوفاكيا سابقاً، آنذاك ضد نظامه الشيوعي، وأطلق عليه بثورة شباب ربيع براغ . ثم أستخدم هذا المصطلح أيضاً عندما انتفضت الحركة العمالية في بولونيا عام ١٩٨٠ وسميت حركة فانسيا." ١٢"

وكذلك استخدم عندما ثارت شعوب أوربا الشرقية بين عامي ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠ ،أي منذ سقوط جدار برلين والذي أسقط بدوره ألأنظمة غير الديمقراطية "الاشتراكية/الشيوعية" من بولونيا إلى ألمانيا الشرقية والمجر، جيكوسلوفاكيا، بلغاريا، رومانيا، وهنكاريا، ثم امتدت إلى ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي سابقاً.

إذا كان الغرب، وأوربا الغربية بالذات، هو المبادر بهذه التسمية، والذي استعارها من ثقافته السياسية، إلا انه ينطوي، برأينا، على دلالات متعددة، فمن الممكن أن تعطينا تفسيرات تقارب ذهنية وثقافة السياسية الاجتماعية العربية،على سبيل الذكر وليس الحصر:.

١ـ أنها تعني و"تفسر" البهجة والغبطة بعد وحشة الشتاء المظلم، هذا عامل سيكولوجي" نفسي".

٢ـ ثم أنها قد تعني النشاط والحركة والطاقة بعد خمول البرد والثلوج، عامل فيزيولوجي" حركي/ مادي".

٣. وإنها كذلك تنطوي على معنى التبدل في المحيط البيئي/المناخي، حلول الربيع الجميل لشعوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

٤. ويدل الربيع كذلك على التغيير في المحيط الاجتماعي /الثقافي/ السياسي.

٥. وقد تفسر على خلع القديم واستبداله بشي جديد.

٦. وقد تفسر على أنها الشباب والتفاؤل والمستقبل.

لذا فأن هذه التسمية المجازية، ولو أنها دخلت في القاموس السياسي العالمي، لكنها تنطوي على مضامين إستراتجية/ دولية، وتفسيرات عديدة وأسئلة كثيرة تطرح، منها مثلاً:

أ. هل يعني هذا أن الدول العظمى كانت ممتعضة من أصدقائها وحلفائها الحكام العرب مثل الرئيس المصري حسني مبارك وزين العابدين بن علي ومن لف لفهم، وكانت تتمنى إزاحتهم دون تدخل عسكري منها، لأنهم أصبحوا عالة عليها، ولقد انتهى دورهم المبرمج ؟

ب . أم هذا يعني حدوث تبدل في الاستراتجيات"غير المسبوقة" للدول العظمى في الشرق الأوسط كي يضمن تفوق إسرائيل ؟

ج . أم أن الإستراتجية الجديدة للدول العظمى تقتضي تشكيل محور جديد بقيادة كل من: قطر، العربية السعودية، تركيا، مقابل المحور الإيراني، السوري، وحزب الله في جنوب لبنان، في منطقة الشرق الأوسط بعد خروج القوات الأمريكية من العراق، ومن أفغانستان عام ٢٠١٤؟

د . وهل أن كل بدايات الألفية تتغير إستراتجيات الدول العظمى في الشرق الأوسط والعالم العربي بالذات، مثلما خطط للمنطقة في بدايات القرن العشرين "الحرب العالمية الأولى" وما أتبعها من تغيرات بتفكيك العالم العربي إلى دول متصارعة ومتناحرة مع بعضها البعض ؟

هـ . أم أن الشعوب العربية تدشن الموجة الخامسة من الديمقراطية، وهي البقعة الجغرافية الوحيدة الممانعة لها، مع العلم أنه هو المسار الطبيعي لتاريخ البشرية ؟ وهذا ما أفصحت عنه وزيرة الخارجية الامريكية السابقة "كوندوليزا رايس" في محاضرتها في الجامعة الأمريكية في القاهرة ٣٠/حزيران يونيو/٢٠٠٤ ،حين أمرت الحكومة المصرية وبلهجة صارمة إلى عمل الإصلاحات الضرورية، والأخذ بالديمقراطية كمنهج حكم ومنها شرط حرية الانتخابات الرئاسية.

و . أم أن المراد منها "الفوضى الخلاقة" ؟

ز- وأخيراً،هل أنها ثورة شبابية عربية واعية وطموحة بامتياز، تهدف لتحقيق أماني الشعوب العربية التي خذلها الحكام العرب السابقين ؟

المطلب الثالث :. مفهوم الفعل الاجتماعي/ السياسي

اختلف الآراء إزاء وصف فعل الحدث، وبالأخص عند انتقال العدوى إلى مصر، هل أنها ثورة كما وصفتها مجلة النيوزويك "١٣"؟ أم أنها صحوة كما وصفتها مجلة

الايكونومست مثلاً"١٤" ؟ أم أنها انتفاضة "١٥"؟ أن تعددية الأسماء على الظاهرة العربية تستوجب المراجعة الدقيقة لهذه المصطلحات وتفكيك المفردة لتعريفها بشكل علمي، لذا تنوعت التعاريف واختلفت نظرا للاختلاف الإيديولوجي والظرفي والزماني إزاء هذه التسميات.

فمن خلال دراستنا لمفهوم وتعريف الثورة. وجدنا أن الرؤى قد اختلفت إزاء هذا المصطلح، منها مثلاً من ينظر إليها على : (أنها عملية اجتماعية تهدف إلى التوفيق بين ذهنيات الأفراد والمؤسسات القائمة في المجتمع)."١٦".

أما الدكتور صادق الأسود فيرى بأن الثورة هي حركة اجتماعية تنطوي في ذاتها على هدم القديم بكل جزئياته المادية والمعنوية، ويعرفها:(هي حركة اجتماعية لتقويض المؤسسات التي فقدت فاعليتها، وإعادة بناء الروابط الاجتماعية على أسس جديدة)"١٧"
ونرى من جانبنا أن مصطلح الثورة هو: (ذلك التغيير الجذري، المبرمج والمنظم والمتفق عليه من القاعدة الاجتماعية/ الشعبية، للبنى الاجتماعية/ السياسية/ الاقتصادية).

أما الانتفاضة فهي تمرد شعبي ساخط ضد الحكومات وسياساتها، والبعض يصفها بالعصيان الشعبي، أو أحداث اجتماعية تسبق الثورة."١٨" وقد يستخدم، في كثير من الأحيان، العنف ضد مؤسسات ورموز السلطة، لأنه حالة تعبر عن غضب الشعب ضد سياسة سلطته، إلا أن أهم ميزة للانتفاضة هي أنها عفوية، وعليه فأنها تفتقر إلى التنظيم والإيديولوجية والهوية السياسية المحددة في كثير الأحيان، لأنها بنت وقتها وبنت حدثها، مثل الانتفاضة الشعبية التي حدثت في جنوب وشمال العراق بعد وقف إطلاق النار في حرب الكويت في آذار/١٩٩١ والتي دامت ١٦ يوماً .

أما وصفها بالصحوة ، فنعتقد أن هذا الوصف بعيد عن الواقع الاجتماعي السياسي العربي، لأن الفعل " صحا" يشير إلى أو يدل على الشخص الغافي عما يحدث حوله، أو أنه الشخص المندمج مع الفعل المؤمن به والساعي لإنجازه. وهذه الأوصاف تغاير الواقع الحركي للمجتمعات العربية التي كانت تناضل ضد النظم العربية المستبدة، ولا أدل على ذلك من كثرة تقارير المنظمات الدولية على عدم احترام حقوق الإنسان، والسجناء السياسيين، واللاجئين العرب في أصقاع العالم ".١٩"

نفهم من خلال هذه التعاريف بأن ما أطلق عليه بثورات الربيع العربي، ليست بثورات. لأن الثورة ليست بحد ذاتها تغيير، وإنما هي امتداد لتغييرات لاحقة يحققها هذا الفعل الاجتماعي السياسي. وعليه لا يمكن أن نصفها بالثورة، نظراً لعدم توفر آليات الثورة، من تخطيط، وبرامج، وقيادة، وتعبئة، وإيديولوجية. فلو كانت ثورة لكانت لها سماتها وآلياتها، ثم أنها تنطوي على سلوكيات تنظمية وثقافة مميزة وقواعد سياسية لدى الفاعلين والمؤيدين والمناصرين لها، أنها أقرب إلى الحركات الاجتماعية من كونها ثورة شعبية.

ومهما اختلفت الآراء حول الربيع العربي، حول أنه ثورة أم انتفاضة أم حراكات اجتماعية أم انفجاراً شعبياً، فإن الهدف ظل واحداً وهو "التغيير"، أي تغيير النظام السياسي الحاكم لتحقيق الحرية، الكرامة، العدالة الاجتماعية. وهذه هي شعارات "ثورات" الربيع العربي ضد مركزية سلطات النظم العربية.

المطلب الرابعً : وعي التباين لشباب الربيع العربي

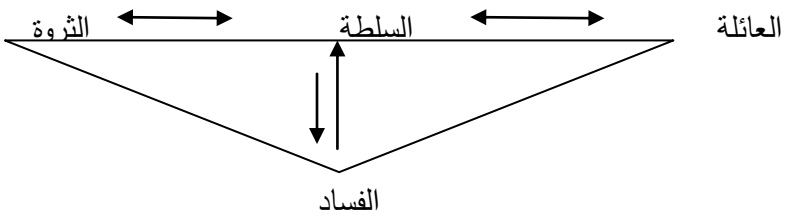
ينبغي أن ندرك بأن الثقافة والشخصية العربية مبنية على فكرة المركزية. ويلاحظ بان حياة هذه الشعوب تدار مركزيا ابتدءا من الأسرة وتزحف إلى الشارع، المدرسة، الجامعة، والعمل. ونمت فكرة المركزية منذ الطفولة في وعي هذه الشعوب، حيث يعرف الفرد العربي بأنه تابع للمركز ويعرف منْ يشغله. الوالد في الأسرة، شيخ العشيرة، رجل الدين، المعلم في المدرسة، المدير في العمل، الرئيس في السلطة، ثم توغلت في اللاواعي وأصبحت سياقاً لحياتهم، هناك منْ يخطط مستقبلهم مركزياً .

لذا تقبلوا بإيمان وخضوع فكرة مركزية السلطة السياسية ومنْ يديرها، وأن كل شي يمر عبرها وكل شي يدخل ويخرج منها، فهي التي تقرر مستقبلهم وتحدد اتجاههم، أنها جهاز التخطيط المركزي لمصيرهم، كأفراد وكمجتمع، حتى أن الحكام وصانعوا قرار السياسي، والذين هم من نفس البيئة الاجتماعية "العقلية"، يمارسون المركزية القائمة على العنف المنظم مستغلين (شرعية) استخدام القوة باعتبارهم أما الأخ الكبير أو الأب القائد الحنون، أو شيخ العشيرة، أو القائد الضرورة، أو زعيم الخيمة. وكنتيجة للسكوت الطويل منحوهم، أن صح التعبير" شرعية التقبل" أي تقبل الأمر الواقع من قبل الشعوب، وبالمقابل منحوا"

الحكام" لأنفسهم الحرية ليقرروا ما يشاءوه ، ولهذا تربعوا في السلطة عقود من الزمن يمارسونها دون رقيب ومحاسبة.

لكنهم خططوا، لا لبناء مؤسسات ديمقراطية، وليس لبناء بنى تحتية اقتصادية متينة تؤمن المستقبل للأجيال القادمة ولتمتين أسس الدولة الحديثة، بل لتوريث أبناءهم إدارة السلطة، بالإضافة إلى أهدار المال العام عبر الفساد الإداري والمالي، ثم كشف الحسابات المالية المسروقة والموضوعة في بنوك الخارج للزعماء وعوائلهم، أو المختبئة في جدران القصور الرئاسية، وكذلك تملكهم للعقارات في أنحاء العالم.

إن معادلة النظم العربية قائمة على الأضلاع الثلاث:



ومن جانب آخر، كان يقابل العالم العربي، عالم آخر يموج بالتطورات التقنية والتغيرات العقلية/ الفكرية، عبر تدرجية التطور الآلي الإبداعي الذي غيَر من نمط السلوك وطرق الحياة وأسلوب التفكير لتلك الشعوب، ومن خلال ثورة الاتصالات وتطور جهاز الكومبيوتر الذي، مثلاً، مر بخمسة أجيال منذ العام ١٩٥٨ والى الآن"٢٠١٢". وأدى ذلك إلى تقدم فكري واجتماعي/ سياسي/ثقافي، وأيضا تطور اقتصادي، مما أثر ليس فقط في مجتمعاتهم بل على كل مجتمعات العالم.

أن هذا التطور الذي تنبأ به الكاتب الأمريكي "ألفين توفلر" في كتابه صدمة المستقبل والموجة الثالثة، حين وضح بأن عالما جديدا سوف تشهده الإنسانية في بدايات الألفية الثالثة هو عصر المعلومات والثورة المعرفية والتي أعتبرها موجة ثالثة بعد الموجتين الأولى الزراعية قبل ألاف السنيين والموجة الثانية الصناعية قبل ٣٠٠ عاماً، مما سيحدث فجوة هائلة بين عالم جديد وعالم قديم "٢٠"، سواء على صعيد مجتمعات العالم؛ عالم الشمال وعالم الجنوب، أم على صعيد المجتمع الواحد بجيله ذو التعليم والثقافة الالكترونية وجيله ذو التعليم التقليدي الأمي بالالكترونيات، وأيضاً على صعيد الأسرة

الواحدة بين قيم وتقاليد الآباء وقيم الأبناء الجديدة التي تفرزها ثقافة الكومبيوتر والفيس بوك والسكايب والتوتير.

ثم صرح بيل غيس مالك شركة المايكروسوفت، بأنه "سوف يأتي يوم ليس ببعيد كثيراً يصبح بإمكانك أن تدير أعمالك وتدرس وتستكشف العالم وثقافته وتكسب أصدقاء جدد وأنت جالس في بيتك"."٢١"

وعندما نراجع تأريخ جهاز الكومبيوتر مثلاً، نلاحظ أن محطات التطور تحددت وفق تطور الأجهزة التي تم اختراعها على شكل أجيال، وكل جيل تميز بتقدم تكنولوجي أساسي أدى إلى تغييرات في الطريقة التي تعمل فيها الكومبيوترات، مما أتاح إلى التوصل إلى أجهزة أصغر وأسرع وأقل تكلفة وأفضل من ناحيتي الفعالية والاعتمادية.

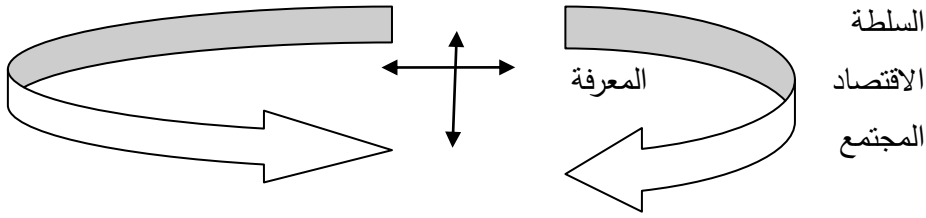
وخلال هذه الأجيال الخمس من التطور في عالم الغرب، كانت شعوب العالم العربي، تعيش في ظل الانقلابات العسكرية، والأنظمة الديكتاتورية والحروب الداخلية، والحروب مع إسرائيل، وضعف في بنية الدولة، حتى أن الأجيال العربية لا تعرف معنى الاستقرار، والذي أدى إلى تخلف تام بكل مرافق الحياة.

فاجأت العولمة الشعوب العربية ونظمها السياسية، مما أحدثت إرباكا كبيراً، ومن ثم قلبت الموازين الموضوعية والذاتية لمجتمعات لازالت بذهنية مرحلة المجتمع الزراعي البدائي، مجتمع متخلف بقيمه وأعرافه الاجتماعية العشائرية/القبلية، الطائفية، المذهبية، شعوب لازالت تعيش عصر الثقافة التقليدية للقرون الماضية نسبة الأمية مرتفعة مثلاً في مصر ٤٠% وفي المغرب٤٥%، وأدنى نسبة كانت في لبنان١٠،٥%، حسب إحصائية الأسكوا لعام ٢٠١٠، وفي اليمن ٥٠% في الرجال و٧٠%في النساء، وتقبع تحت ظل أنظمة مستبدة ونظم اقتصادية متخلفة، وغير قادرة على مسايرة العولمة ولا ثقافتها المبنية على ثقافة الصورة بالنظام السمعي والبصري.

لذا عملت معظم النظم السياسية العربية على فرض سياسة منع –إلا في أجهزتها الأمنية والمخابراتية– دخول التقنيات المتطورة إلى مجتمعاتها، واستخدمها من مواطنيها مثل الكومبيوتر، الانترنيت، واستخدام الصحن اللاقط،* الموبايل، إلا أن العولمة اجتاحت المجتمعات واجتازت الحدود عنوة وفرضت نفسها وقربت شعوب العالم كقرية صغيرة متداخلة السكان، وأصبحت الالكترونيات في متناول الكثير من شعوب العالم العربي

حـوالي ٤٠ مليـون مسـتخدم، وخضـع الحكـام لإرادتهـا، لأنهـم لـم يـدركوا ويعـوا صـدمة المستقبل كيف أن "عالم المستقبل عالم بلا حدود كما وضحها الكاتب "الفن ألن توفلر"، وكيف ستتغير المجتمعات في عالم المعرفة وأن أي سلطة لا تأخذ بعين الاعتبار هذه المتغيـرات سـيكون مآلهـا الـزوال" "٢٢"، أي زوال الأنظمـة الاسـتبدالية وإحـلال الـنظم الديمقراطية محلها.

أن من بديهيات المجتمعات الديمقراطية هي أن أي عمل أبداعي هو نتاج لعقيلة حرة، وذهنية فكرية متقدمة والتي هي حصيلة لمؤسسات اجتماعية سياسية اقتصادية متمدنة /متطورة. وعليه فإن أبعاد الأربعة



(المجتمع، السلطة، الاقتصاد، المعرفة) يكمل احدهما الآخر، فأي مؤثر يقع على واحد منهم يصيب الأبعاد الأخرى لأنها أبعاد متلاقية ومتلازمة، فثورة الاتصالات/ المعلومات أحدثت تطورا في هذه الأبعاد الأربع في آن واحد وبنفس القدر من التأثير. بمعنى أن المجتمعات الديمقراطية يمارسون سلوك سياسي، اجتماعي، اقتصادي منسجم مع واقعة التطور هذه، إذا فأن العملية تكاملية ضمن المنظومة الديمقراطية.

وذلك عكس مجتمعات الشعوب العربية الذي تسيطر عليه القيم والعقلية والشخصية التقليدية، ثم ظاهرة عدم التجانس بين نسيجه الاجتماعي، التي فبركتها وصنعتها النظم العربية السلطوية لتحقيق أهدافها طبقاً لمبدأ " أن حالات التعاون أو الصراع في المجتمع سببه السلطة السياسية" ٢٣"

لقد أدرك جيل الشباب الجديد، الذي يستخدم ويتعامل يوميا تلك الأدوات الالكترونية المتطورة، الفارق الكبير بين واقعه الاجتماعي/ الاقتصادي/ السياسي، والذي لا يتناسب نهائياً مع ما يجري في مجتمعات العالم، فشعر بالتميز والهوة بين سلوكيته وقيمه الاجتماعية، وبين القيم المفروزة من عالم المعلومات والمعرفة، حيث وعى على حالة

التباين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال التواصل الاجتماعي، والفارق بين عالمين متنافرين في بنيتهما الفكرية/ الاجتماعية/ السياسية، فثار على سلطته ونظامها السياسي، " لقد جاءت الثورات العربية لتعبر عن نوع من أنواع الانقطاع والصراع بين الأجيال الجديدة وذوي السلطة في المجالات الأكاديمية والإعلامية والسياسية. ويمثل شعار"الشعب يريد إسقاط النظام" الذي رفعه شباب الثورة، هذه الروح الجديدة التي ترفض هيمنة سيطرة الجيل القديم التي امتدت لعقود..." " ٢٤"

المطلب الخامس: مفاجآت ثورات الربيع العربي:

من بديهيات علم السياسية، تعد الثورة أعلى مرحلة من مراحل الغضب والسخط الجماهيري ضد النظام الحاكم، بمعنى أن النظام فقد شرعيته بشكل تام، لا تنفع الإصلاحات ولا الوعود بها، لأن الجماهير اتخذت قرارها بإسقاطه.

وتسبق الثورة العارمة عادة مظاهر استياء الجماهير من السياسيات العامة للنظام والتي تأخذ شكل الاحتجاجات التظاهرات، الانتفاضات، العصيان، والإضرابات، ما هي إلا مقدمات ومؤشرات على الثورة.

لذا لم تكن "ثورات" الربيع العربي مفاجأة إلا للنظام الحاكم والمؤيدين له من الداخل والخارج، والعكس أنها كانت متوقعة للمطلعين والراصدين للحالة الاجتماعية/ السياسية في العالم العربي، بأن الانفجار قادم لا محال، لأن "عامل تراكم النضال من أجل الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وأن إسهامات الشعب في صنع الحدث بدأت منذ سنوات من خلال سلسة من التحركات الاحتجاجية.."٢٥"

لم تكن مفاجأة لأبن المجتمع والشارع العربي من الكسبة والكادحين، الفقراء، وذوي الدخول الواطئة، والعاطلين والمخططين لها، والدليل على ذلك عند مراجعة تاريخ الإحداث اليومية للمجتمعات العربية للثلاثين عاما الأخيرة، أي منذ بداية عقد الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي وحتى ثورات الربيع العربي. لقد ظهر الكثير من التذمر من الشعب العربي والذي عبر عنه بطرق مختلفة منها؛ كم عدد التظاهرات والاحتجاجات التي انطلقت في العالم العربي؟ مهما كانت وتنوعت الأسباب والمسببات، منها على سبيل الذكر وليس الحصر والمهمة منها فقط:

احتلال الكعبة الشريفة– وهو المكان ألأكثر قداسة في العالم الإسلامي أجمع– من مجموعات مناهضة للنظام السعودي، ثم لو نحصي كم عدد تظاهرات الخبز التي جرت في مصر، تونس، الجزائر، والأردن، والمغرب، والاحتجاجات في حمص عام ١٩٨٠ ، وثورة الحجارة في فلسطين، ثم الحرب الأهلية في لبنان والسودان، الانتفاضة الشعبية في جنوب العراق وشماله، التظاهرات التي انطلقت في البحرين منذ بداية عقد التسعينات، انتفاضة الحوثيين في اليمن منذ عقد التسعينات، ناهيك عن أعمال العنف السياسي التي امتدت لعشر سنوات في الجزائر وحصدت مليوناً وربع المليون من الشعب الجزائري على أثر التلاعب بنتائج انتخابات عام ١٩٩٢، وأعمال العنف في المملكة العربية السعودية والمغرب ومصر.

إلا إن التذمر والحركات الاحتجاجية زادت قوتها منذ أواخر عام ٢٠٠٤، حين بدأت النظم السياسية تهيئ لفكرة التمديد أو توريث الحكم لأبنائهم في الجمهوريات كاليمن "أحمد" ابن رئيس اليمن و"سعيد" ابن رئيس الجزائر و"جمال" ابن رئيس مصر، وسيف الإسلام نجل القذافي قي ليبيا، وهناك سابقة في الجمهورية العربية السورية.

ثم ظاهرة العنف أثناء وبعد كل الانتخابات "الصورية الشكلية" التي أجرتها النظم السياسية العربية، سواء كانت انتخابات برلمانية، أم بلدية، أم مجالس المحافظات. حيث تظهر الاحتجاجات والرفض بسبب التزوير، والشك أو الطعن بالنتائج، والاعتداءات على المصوتين والصحفيين والساخطين على عمليات الغش، حتى أصبح الرقم ٩٩% هو الرقم المحبب لدى الزعماء العرب.

وكم من عمليات الاعتقال جرت ضد الطلبة بسبب الانتخابات الجامعية والاعتصام داخل جامعة القاهرة والزيتونة وصنعاء؟. ثم كم عدد المدونين الذين اعتقلوا وعذبوا في مصر وتونس والمغرب وسوريا والبحرين ؟ فعلى سبيل الذكر المدون المصري خالد سعيد الذي قتل تحت وطأة التعذيب في السجون المصرية عام ٢٠٠٩ .

وكم عدد الصحفيين الذين اعتقلوا وماتوا في سجون في البلاد العربية؟ وكم عدد سجناء الفكر الذين ماتوا أو لا زالوا في السجون؟ وكذلك الاعتقالات ضد الطلبة والأساتذة والعمال، وكل معارض ومندد لسياسة الحكام.

وأخيراً هيمنة الفكر القائد، والثقافة الحزبية الواحدة، ثم التغني والتمجيد للقائد الأوحد، ناهيك عن زرع الصور والتماثيل تغطي الشوارع والمعابد والساحات. هذه السيطرة ما هي الا غرس الخوف والرهبة في نفوس الشعوب، من النظام الحاكم وقائده المبجل.

والأشد قسوة هو الفارق الطبقي والتمايز الاجتماعي بين الطبقة الغنية القلية العدد، والتي تمثل رجال السلطة السياسية والمحيطين بهم، وبين القاعدة الاجتماعية الواسعة من الفقراء وذوي الدخل المحدود من الموظفين والعمال والفلاحين، و" التمايز والهوة في مستوى العيش بين سكان الأرياف والقرى والأحياء الشعبية للمدن الكبرى من جهة والفئات والطبقات الاجتماعية المقيمة في المدن الكبرى وأحيائها الراقية والمحظوظة من جهة أخرى.. حيث يعيش سكان الأرياف والذين يمثلون ٣/١ السكان حياة أقرب منها لحياة الكفاف"."٢٦"

وكذلك الأكثر قسوة هو جموع الشباب الخريج العاطل الذي يمثل ظاهرة واسعة في تونس والمغرب ومصر بشكل خاص، الذين يمتلكون الرغبة القوية للعمل والإنتاج، يوازيها الشعور بفقدان الأمل والإحباط بتحقيق مستقبل واعد، ثم شعورهم بالحرمان، خاصة وأن ٦٠% من مجموع الشعوب العربية هم من الشباب، ينتظر من نظامه السياسي أن يحقق لهم العدالة الاجتماعية بينهم وبين أثرياء السلطة.

وأخيراً وليس أخراً أن من سمات الأنظمة المستبدة هي العمل على تمزيق النسيج الاجتماعي، وتعميق المشاعر السلبية بين الطوائف منها الإسلامية التي تجزأت إلى "السنة والشيعة"، والأديان"الإسلام والمسحيين"، والقوميات" العرب، الأكراد، الأمازيغية، وجنوب السودان".

تلك التعددية الاجتماعية التي يفترض أن تكون قوة للشعوب العربية، إلا أنها أضحت نقمة وفتنة نائمة تأججها النظم السياسية وقت ما تشاء لتحقيق مآربها. كم من الحروب اندلعت بين الأكراد في شمال العراق مع الأنظمة السياسية التي توالت على حكم العراق منذ ثورة تموز ١٩٥٨ وحتى ٢٠٠٣؟

وآخر دليل حرق الكنيسة القبطية في الإسكندرية ليلة عيد رأس السنة الميلادية ٢٠١١ ، بهدف إشعال الفتنة الدينية بين المسلمين والمسحيين المصرين. حتى تتقاتل الشعوب فيما بينها وتبتعد عن مراقبة ومحاسبة السلطة، ثم تزرع الحقد والكراهية بينهم "

أن أصحاب السلطة أنفسهم لم يفطنوا إلى أخطائهم وقصورهم، وهذا شرط التحول أو التغيير، أي الإدراك أو الوعي بوجود مشكلة، ثم يشرع في حلها" "٢٧".

إلا أن المفاجئ فعلاً في "ثورات" الربيع العربي أنها تميزت عن بعض الثورات في العالم، والتي تركت ذات الأثر في الذاكرة الاجتماعية العالمية في حينه كثورات شعوب أوربا الشرقية في عقد التسعينات، والثورة الإيرانية في عقد السبعينات، والتي كانت مفاجأة للعالم منها على سبيل الذكر وليس الحصر:

أولاً: لم تتقيد بأي انتماء حزبي، أو اتجاه أيديولوجي معين." لم تؤثر الكتب الماركسية في فكرهم، ولم تشكل الدروس الدينية والشعارات الإسلامية وعيهم"."٢٨"

السؤال الذي يفرض نفسه هو: هل يعني هذا انعدام الثقة بفعالية وقدرة الأحزاب السياسية العربية وإيديولوجيتها للقيام بثورة على النظام السياسي المستبد وتغييره؟ بل على العكس، لاحظنا أن الأحزاب السياسية سواء في تونس أو مصر أو اليمن لم تشارك أبداً شباب الثورة بل راهنت على أسلوب الحوار مع الحزب الحاكم كما كان الحال في اليمن. أما في تونس ومصر، فقد انتظرت الأحزاب التقليدية ما يؤل إليه الأمر، ثم اشتركت فيما بعد. إلا إن مؤسسات المجتمع المدني، مثل نقابات العمال ساهمت بشكل فعال مع الثورة الشبابية في كلا البلدين.

أما ليبيا فبحكم دكتاتورية نظام معمر القذافي، لم يوجد على أرض ليبيا أحزاب السياسية أو قوى معارضة لذا كان لنقابة المحامين الدور الأكبر في إشعال شرارة الاحتجاج، خاصة عقب اعتقال "المحامي فتحي تربل" " ٢٩".

ثم أنها لم تعبر عن انتماء طبقي محدد، ولم تطرح شعارات طبقية أو تعين طبقة بعينها. بل على العكس أنها مثلت وشاركت جميع الطبقات فيها. ونقصد بالطبقة هنا المعيار المادي/الاقتصادي مستوى الدخل، كما أنها ضمت كلاً من الفقراء والكسبة والطبقة العمالية والموظفين "الطبقة الوسطى".

إضافة إلى ذلك تميزت بتنوع التشكيلة العلمية/ الثقافية من حملة الشهادات ما بين حملة الشهادات العليا والشهادات المتواضعة، من ألوان الطيف الثقافي والخبرة العلمية والعملية.

وتنوع اللون السكاني من فلاحين وحضر. كما أنها لم تقتصر على سكان المدن فحسب، مثلما أنها لم تقتصر على العاصمة، ففي مصر بدأت الثورة من قبل العمال في مدينة السويس ثم توسعت وامتدت إلى القاهرة. أما في اليمن فقد بدأت في مدينة تعز ثم صنعاء. لكن في تونس بدأت في مدينة من الجنوب المتخلف "سيدي بو زيد " ثم زحفت إلى مدن الشمال ثم العاصمة. وفي سوريا بدأت في قرى درعا الحدودية في الجنوب، ثم امتدت إلى أنحاء الوطن.

ثانياً / المفاجأة الثانية أنها ثورة شبابية بامتياز، من حيث التحضير والإعداد والتخطيط والتجييش والخروج إلى الشارع. حيث " تتسم الريزومات بالقدرة الهائلة على التواصل من خلال الامتداد الشبكي، بما لا يجعل للشكل الريزومي مركزا يمكن شل فاعليته أو وكوادر يمكن استئصالها. ويجد ذلك تجسيدا له في القدرة الهائلة للمجموعات الشبابية على التنسيق والعمل التنظيمي والحركي المشترك" "٣٠".

لقد تبين من خلال شاشات التلفاز أن أعمار شباب الثورة كانت تتراوح ما بين ١٦ الى ٣٠ عاماً، والتعبير الجميل الذي يوضح مدى شبابية الثورة في تونس، حين عبر رجل تونسي، وعلى شاشة التلفاز لقناة العربية، قائلاً:" لقد هرمنا ، لقد هرمنا ، لننتظر هذه اللحظة".

لم ينتظر الشباب من قائد أن يقودهم أو ينتظرون التعليمات منه، ولا توجد قاعدة ورئاسة، بل أنها تنظيمات أفقية متساوية من حيث الأوامر والالتزام أنهم القاعدة والهرم، وزعت المهام بينهم. "٣١"

لقد تنوعت المشاركة وبكثافة عالية حضور النسوة، حيث خرجت المرأة العربية للميدان متجاوزة محظورات المجتمع، والسيدة "توكل كرمان" اليمانية الحائزة على جائزة نوبل خير دليل على المشاركة الواسعة للنساء العربيات حين دعت للقيام بالمظاهرات مستخدمة موقعا اليكترونيا. لقد كسرنُ المفاهيم الملفقة حولهنُ سواء في الداخل أوالخارج، في المشاركة الفاعلة لأن الثورة أعطتها فرصتها أما تقتنصها أو تركن في جحرها، ولا أدل على ذلك ما تعرضن له النسوة المصريات والتونسيات واليمنيات من اعتداء من الشرطة والبلطجة، سواء في الشارع أو في أقسام الشرطة ودوائرها، وحتى في الذكرى السنوية

للثورة المصرية، تعرض بعض النسوة إلى الضرب المبرح أمام شاشات التلفاز من رجال الشرطة.

حتى أن الرئيس اليمن السابق علي عبد الله صالح، أراد أن يشق الثورة اليمانية وينتقص من قيمتها وأهميتها والطعن بمبادئها وقيمها من خلال القيم العشائرية العربية، عندما ندد بمشاركة النساء اللواتي يبتن في ميدان التغيير في صنعاء، إلا أن ردة الفعل القوية، والنقد الجارح من قبل النساء المشاركات، ورؤساء العشائر، وشباب الثورة والعوائل اليمانية، وقفت حائلاً أمام تحقيق هدفه وأخرسته.

إن مشاركة العوائل الإباء والأمهات وأطفالهم في ميدان التحرير في القاهرة وميدان التغيير في اليمن ودوار اللؤلؤة في البحرين وشارع بو رقيبة في تونس، وهذه كانت سابقة في التنشئة الاجتماعية السياسية والثقافة السياسية العربية في تأسيس موقف وسلوك سياسي للعائلة والمجتمع العربي.

أنها كانت وطنية تمثل كل رموز المجتمع وشرائحه ومراكزه الاجتماعية والتي جسدها شباب الثورة حيث كانت متنوعة من حيث الدين مثلاً. لقد شاهدنا كيف الأقباط يحرسون المسلمين إثناء أداء صلاتهم خشية تعرضهم لرشاشات الماء التي كانت ترش عليهم من رجال السلطة في عز شتاء القاهرة، والمسلمون حموا الأقباط حين كانوا يؤدون الصلاة والشعائر الدينية. ثم لاحظنا شابات محجبات وأخريات غير محجبات، ثم رجال دين في زيهم ولحاهم من المسلمين والمسحيين، وفي الثورة البحرانية كان السنة مع الشيعة في انتفاضتهم"٣٢"، ثم مشاركة شباب من جنسيات عربية في الثورة المصرية، والليبية والتونسية، وكما نقلتها القنوات الفضائية.

ثالثاً/ المفاجأة الثالثة هي أنها ثورة، أذا صح وصفها، أنها بنت الشارع، أي أن مقرها لم يكن لمكتب حزب معين، ولا أنها خرجت من بيت قائد كاريزمي، أو شخصية وطنية أو دينية معروفة ومرموقة، وليس من داخل قبة برلمان، ولا في منتزه عام أو مقهى كبير معروف، وإنما كان التجمع واللقاء والانطلاق من، والى، وفي الشارع والكل لا يعرف الكل بدقة،"... لأنها كانت ذات الشكل الريزومي بتنوعها الشديد، والتعددية الشديدة، وأسلوب حركتها..."٣٣"

رابعاً/ ثم المفاجأة الرابعة، هي أن الدعوة والخطاب والمناقشات والحوارات لم تكن في الصالات ولا القاعات العامة أو الخاصة، بل عبر الأثير الوهمي، وهو شبكة الانترنيت، والموبايل. وهذه سابقة لنوعية وطبيعة الثورات في العالم، ثورات القرن الحادي والعشرين، أنها فعلا تمثل نمطاً جديداً للثورات الشعبية سواء التي قرأنا عنها في سجل التاريخ أو التي سمعنا عنها، أو التي شاركنا فيها، قد نسميها– أن صح التعبير–، ثورات عصر النبضة الالكتروني.

خامساً/ المفاجأة الخامسة، هي أن الشعار الذي رفعه الثوار كان يتضمن ثلاثة مطالب: (الحرية، العدالة الاجتماعية، الكرامة). إن الذي يلفت الانتباه في هذا الشعار هو مطلب " الكرامة "، فلو نلاحظ بدقة أن جميع الثورات في العالم ذات شعارات محددة تنطوي معظمها على مطالب اقتصادية بالدرجة الأولى، وسياسية بالدرجة الثانية، أو المطلبين معاً، وهذا بديهي جداً. إلا أن ثورات الربيع العربي، وللأول مرة بالإضافة إلى مطالبها السياسية والاقتصادية، ترفع مطلب تحقيق الكرامة.

إلى إي حد هُدرت كرامة المواطن العربي وفقدت أدميته، من حكامه وساسته، حتى أنه لم يعد يتمتع بحقوقه الإنسانية فأصبحت مطلبه بالكرامة حياة أو موت؟ والمقصود بالكرامة وعلى حد قول الدكتور أحمد يوسف أحمد " كرامة المواطن في وطنه أو معيشته الكريمة"" ٣٤".

سادساً/ المفاجأة السادسة، أن قوة الثورة والثوار الشباب متأتي من صبرهم وعنادهم في تحقيق مطالبهم، باتباعهم سلوكية وآلية أذهلت العالم، هي سلمية الثورة بامتياز، والدليل على ذلك هو أنهم كانوا يستعرضون مواهبهم الفنية من رسم وشعر ومسرحيات وغناء، رغم كل العنف الذي مورس بحقهم في الساحات والميادين، حيث قدموا الكثير من التضحيات، سواء الشهداء الذين سقطوا صرعى برصاصات النظام، أم الشباب الذين تعوقوا بسبب ضربات الشرطة وأجهزت الأمن والمخابرات.

أن هذا الفعل الاجتماعي/ السياسي، قلب كل النظريات في علم السياسية التي تتطرق إلى وصف الثورات بالدموية، بل أن الشباب راهنوا على أتباع سياسة وسلوكية الزعيم غاندي في تحقيق مآربهم، وفعلاُ انهزم الرئيس بن علي شر هزيمة، وتنازل الرئيس حسني مبارك، وخرج علي عبد الله صالح أما ليبيا كادت تسحق ثورتهم، لولا تدخل حلف

الناتو لنجدتهم. ولا يزال الشباب المصري والتونسي والبحراني واليماني يستخدمون هذه الآلية حتى الآن، فمثلاً في مصر يصر الثوار على تحويل السلطات إلى حكومة مدنية بدل المجلس العسكري الانتقالي.

سابعاً/ المفاجأة الكبيرة والتي أذهلت الشعوب العربية قبل العالم، هو حياد الجيش في تونس ومصر إزاء ثورة الشباب. والتي كانت السبب في انتصار الثورات وأحداث المد الثوري لبقية أركان الوطن العربي. ولولا هذه الحيادية لما تمكنت الثورة في إسقاط أنظمتها "العصية على التغيير ليس بسبب جودة أدائها، وإنما لقوة أجهزتها التحكمية في كل مفصل من مفاصل الحياة"" ٣٥".

ثامناً/ والمفاجأة الكبيرة الثامنة هي أن النظم السياسية العربية كانت من الهزال والضعف حتى أنها لم تصمد أمام الاحتجاجات بل أنها استخدمت القوة بشكل مفرط وبالأخص في ليبيا والبحرين، ودون التفكير في الحوار أو استخدام الدبلوماسية مع المتظاهرين، ثم سرعة انهيارها وسقوطها خلال أيام كما في تونس خلال ٢٨ يوماً، ومصر خلال ١٨ يوماً، وهذا دليل على الهشاشة، " إذ أظهرت الأزمة النظام أقرب إلى هيكل عظمي بلا قاعدة ولا رأس، حيث استهان النظام بهشاشة قاعدته الاجتماعية التي قامت على زبائنية فجة انعدم فيها الانتماء وصار الولاء مرتبطا بمصالح مباشرة ومؤقتة في الأغلب الأعم..."."٣٦".

المطلب السادس :. القيم الاجتماعية وثورات الربيع العربي:

أن الثورة كانت ناضجة إلا أنها لم تصل بعد إلى درجة الاتقاد، حتى أتخذ محمد بو عزيزي قراره الفردي بوضع حد لحياته" ٢٦ عاماً" المُهانة والمَذلة بين الفقر وصفعة الشرطية " فادية حمدي".

أن العوز بحد ذاته مذلة خاصة لشخص يكدح ويسعى للحصول على الأفضل ولم يستطع أن يحقق الحد الأدنى، ثم أن شاباً فقيراً ومسئولاً عن عائلة أراد من عربته المتواضعة أن يحصل على قوت لا يموت للعيش بشرف.

تقابله حالة الآنسة الشرطية "فادية حمدي" التي تقوم بوظيفتها، وتطبق القانون ولتنظيم الشارع والمرور، فقامت بموجب محضر بلدي مع مساعدها "صابر" بمصادرة بضاعة عربة محمد، وكما وضح أخاه "سالم" لصحيفة " المصري اليوم". هذه المقابلة

الوحيدة التي تناقلتها وسائل الأعلام، ومنها عرف العالم قصة محمد حيث وضح قائلاً: (... حين حاول محمد الحديث مع فادية صفعته على خده، وسدد له صابر عدة ركلات، ولم يكتفيا بذلك بل ضرباه على أنفه حتى أنفجر بالدم، حاول اللحاق بهما في مقر البلدية فصعد إلى مكتب المدير العام ليتقدم بشكوى لكنه رد عليه قائلاً: يا مسخ ما كلمنيش..... ثم رفض المحافظ استقباله، فخرج إلى الشارع وأضرم النار في نفسه....). " ٣٧"

أن الضغط النفسي، الذي يسببه الفقر والعوز بالإضافة إلى الشعور بالمسؤولية اتجاه النفس والعائلة، ثم المرارة في عدم وجود مسئول يشتكي إليه، ولا قانون ليحميه ويدافع عن حقوقه، هذا من جانب، إلا أن ألأذى والمرارة الأشد ألماً لمحمد، والتي كسرت نفسيته وحطمت رجولته وشخصية، هي صفعة الشرطية فادية حمدي، من جانب آخر.

ووضح أخاه سالم قائلاً: (... مشدداً على أن الصفعة التي تلقاها شقيقه هي التي أججت عنده فكرة الانتحار قائلاً " معروف في قبيلة الهمامة أن الذي تضربه امرأة نلبسه فستاناً".....)" ٣٨" .

بالمقابل، صرحت الشرطية (فادية حمدي) للقناة الفرنسية، بأنها لم تضربه أبدأ وبررت ذلك بقولها: (أولاً أنا أم لا أتجرأ على صفع شاب بعمر ولدي، ثانياً كيف أصفع رجلاً وأنا امرأة؟ أن تقاليدنا العربية تمنع ذلك، ولا تتجرأ أي امرأة للقيام بذلك، وأخيراً أن صفع شاب مساءلة خطرة لأنه قادر على ضربي كونه أقوى مني). يلاحظ أن للقيم الاجتماعية العربية دور فاعل في سلوكياتنا الاجتماعية.

لقد أنكرت الشرطية فادية حمدي تجاوزها القيم الاجتماعية " مرأة تصفع رجلاً"، بينما المقابل أقدم على حرق نفسه متجاوزاً على القيم الدينية/ الاجتماعية لأن كرامته هُدرت.

إن الكرامة والشرف عند الشخصية العربية، لها من معنى عميق في الذات العربية، والمرتبطة بالرجولة والتي تترجم إلى "القوة"، وهي السمة التي تميز الرجل عن المرأة، وتكسبه شعورا بالتفوق عليها، حيث أنها من الصفات والسمات المهمة التي يتمسك بها الرجال العرب حتى ولو ضحوا بقيم أخرى، أو ضحوا بحياتهم، لأن التشهير بضعف الرجولة أو طمسها خزي يمس أركان العشيرة، والقبيلة والعائلة، هذه معايير الثقافة العربية، والتي يستهدون بها في كل تصرفاتهم وعادتهم اليومية.

فبالرغم من كل القوانين التونسية المتمدنة والتي فرضها دستور تونس/ بو رقيبة بعد الاستقلال، من تساوي المرأة مع الرجل، إلا إن التقاليد الاجتماعية الموروثة، أي الثقافة الاجتماعية/ الشعبية هي الطاغية والأقوى في التعامل اليومي لدى المواطن التونسي. وهذا بحكم التنشئة الاجتماعية السائدة في الوطن العربي، باعتبارها الوسط الأول والقناة الأساسية التي يجري فيها نقل الثقافة المجتمعية، مهما بلغت عدد وقوة القوانين المشَرعة.

إن ما قام به محمد بو عزيزي هو الدفاع عن شرفه الذي ثلم وخدش على يد امرأة أولاً، ورمز من رموز النظام الحاكم المقيت بالنسبة له ثانياً، فجرت بركان الغضب القابع في أعماقه، وإلا كيف نفسر انتحار شابين قبله ولم يحدث ما حدث من ثورة عارمة بدأت من قريته ومن ثم تحولت إلى انفجار ليس في تونس فحسب، بل لتفجر شعوب العالم العربي، وامتدت إلى الصين والفلبين.

إن تضامن الأصدقاء والمعارف والمقربين مع محمد بو عزيزي، ينطلق أيضاً من القيم الاجتماعية التونسية/ العربية. أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فكيف أذا كان فعلاً مظلوماً؟ لقد واجهوا قوة شرسة من المؤسسة الأمنية، ويدركون مقدماً ماذا ستكون العاقبة في مواجهة تلك المؤسسة، والدليل هو عدد شهداء " ثورات" الربيع العربي "٣٩"، الذين ضحوا من أجل كرامة محمد بو عزيزي، ومن أجل كرامتهم التي مسختها النظم السياسية العربية وحكامها الذين لم يتورعوا في استخدام أبشع الأساليب حتى يبقوا على عرش السلطة، مبررين شرعيتهم تارة بالثورية، وأخرى بتربص العدو.

الخاتمة

يستنتج من هذا البحث ،إذا كان محمد بو عزيزي هو نقطة الشروع في إسقاط الحكام، وتغيير الأنظمة السياسية، فالطريق طويل جداً أمام هذه الشعوب، لتحقيق العدالة الاجتماعية، والكرامة. ستعيش الشعوب العربية تجارب كثيرة، ويمر جيل الثورة ويأتي جيل آخر سيقطف ثمرات الربيع العربي.

لأن تحقيق وتطبيق العدالة الاجتماعية والكرامة والحرية، تعني تحقيق الديمقراطية، وأن الديمقراطية لا تعني انتخابات رئاسية أو برلمانية، وتظاهرات في ميدان التحرير

فحسب، بل أنها منظومة فكرية ثقافية وسلوكية تفرض وجودها على القاعدة الاجتماعية الشعبية، عبر التنشئة العائلية/ الاجتماعية، بغية خلق سياقات سلوكية يومية حتى نصل إلى درجة الإيمان بها ومن ثم العمل على احترامها وتطبيقها كمسلمات إنسانية/ اجتماعية ، وهذا يحتاج من الوقت الطويل تصنعه أولاً الحكومات الجديدة كأسلوب وبرنامج حكومي عبر مؤسسات التعليم الابتدائي والجامعي، وثانياً تأخذ به مؤسسات المجتمع المدني ضمن برامجها التدريبية وورشاتها التعليمية لأفراد المجتمع. وثالثاً يؤمن به الفرد والمجتمع ويمارسه كمنهج جديد في سلوكه اليومي.

وكذلك بأن الشعوب العربية اليوم ليست هي شعوب أمس، أنها شعوب حطمت كل جدار الخوف من الحكام والساسة الذين ذلوا شعوبهم، فجاء اليوم التي ذلت هذه الشعوب حكامها، لقد أظهرت القنوات الفضائية كيف يتوسل الرئيس السابق معمر القذافي بالثوار"أرحموني"، والرئيس حسني مبارك في قفص الأتهام، والرئيس علي صالح المحترق.

ثم أن الدرس الذي أعطته الحركات الاجتماعية العربية،ليس فقط للحكام فحسب، بل إلى المؤسسة العسكرية/ والأمنية ذاتها بأن أي قوة لا تستطع تقف أمام تيار التغير سواء اليوم أم غداً. أن قوة هذه الحركات وسلاحها المميز هو سلميتها، وهذا سلاح متمدن، يتناسب مع العقلية والشخصية الجديدة للشعوب العربية. وكذلك أن سيل الحركات الاجتماعية " ثورات" العربية سوف لن تقف، بل العكس سنرى الاحتجاجات والتظاهرات تستمر إلى أن تتحقق شعاراتهم.

لأن القوة التي أستمدتها ثورات الربيع العربي من ضعف النظم الحاكمة وهشاشتها، ثم التطور التكنولوجي للاتصالات ووسائل الإعلام منح القوة للشعوب في الحصول على دعم المؤسسات الإنسانية العالمية في الدفاع عن حقوق الإنسان، ثم ان هذا التطور لم يقرب فقط شعوب العالم بل قرب ايضا الشعب الواحد في قدرته على الاتصال والتجمع والحشد، وكذلك أن التطور التقني قد منح الشعوب قوة المعلومة والمعرفة وعدم حصرها على السلطة الحاكمة التي كانت تسعى الى تجهيل شعوبها بأخفاء المعلومات عنهم في كل ما يحدث في السلطة.

لكن سنتوقع بروز حركات مضادة، أو قد يحدث انشقاقات واختلافات بين الثوار أنفسهم، لانعدام " أو تباين" وجود برامج وأهداف وخطط واضحة، ثم انعدام التنظيم المنضبط ليجمعهم على سياقات متفق عليها.

فالتيارات الإسلامية على اختلاف كبير مع التيارات الديمقراطية، على الرغم إن الحزب النهضة الإسلامي التونسي، وحزب الأخوان المسلمين في مصر،أعلنوا سياسة الاعتدال، لكن الأمر لا يتفق مع الأحزاب والقوى الإسلامية الأخرى المتشددة والتي لها مواقف وبرامج تختلف عن شقيقاتها، إلا أنها وصلت إلى السلطة" كحزب النور المصري المتشدد مثلاً" قادرة على تحقيق برامجها والذي قد يتنافر مع التيار الديمقراطي الذي يحظي بتأيد واسع، لأنه كان له السبق في تظاهرات الربيع العربي والقائد المحرض والمدافع عن الحرية والمساهم الأول في إسقاط النظم السياسية العربية، في حين انتظرت الأحزاب التقليدية والإسلامية فترة زمنية كي ترى ما سيؤول أليه الأمر. لقد خسرت التيارات الديمقراطية القيادة في إدارة الحكم الجديد، حيث أن تمثيلها ضعيف سواء في مصر أم في تونس أم في ليبيا أو اليمن.

ثم إشكالية أخرى ستظهر هو التصادم بين جماعات النظام السابق من مؤيديه وأعوانه، وبين الثوار. سوف تدافع كل فئة عن مصالحها،لأن الوضع السياسي الموجود بعد "ثورات الربيع" العربي هو:.

(حالة المستفيد وحالة المتضرر) . المتضررون من الوضع الحالي الجديد والذين كانوا من المستفيدين من النظام السابق. يقابله المستفيدون من الوضع الجديد والذين كانوا متضررين من النظام السابق. فالاستفادة أو الضرر سوى كانت مادية أو معنوية، سوف تسبب التصادم بين حين وآخر، وستكون على أتفه الأسباب سيتحين المتضررون كل فرصة حتى يشيعوا الفوضى في الشارع ويعبرون عن آرائهم ويثبتوا وجودهم من خلال هذه الإحداث. لقد رأينا ما حدث في القاهرة خلال محاكمات الرئيس السابق حسني مبارك، كل ما يصدر قرار تحدث صدامات بين مع وضد، وأحداث منطقة العباسية، التصادم بين المسلمين والمسحيين في محافظة المينا وأسيوط، والتظاهرة المليونية ٦/٦/ ٢٠١٢ ضد قرار الحكم النهائي للرئيس حسني مبارك وأولاده ووزير الداخلية. ستعم الفوضى وعدم الاستقرار .وهذه خسارة للشعوب على الأصعدة كافة.

وكذلك سيكون حالة تصادم ما بين التيار السلفي المتشدد مع التيار العلماني، وهذا ما نسمع عنه في تونس بالهجوم على قناة الفضائية " نسمة" التونسية، أم الاعتداءات على النساء في الشوارع والجامعات لعدم لارتدائهن الحجاب الإسلامي، وكما حدث مؤخراً. وكذلك الحال في مصر.

ثم نتوقع تصادم بين الحكومة الجديدة وبين الشعوب الثائرة، وخاصة على الصعيد الاقتصادي. لأن نسبة التوقعات لدى شعوب الربيع العربي ستكون عالية جداً، يقابلها على حالة الانهيار الاقتصادي التي أصابت هذه الدول بسبب احداث التغيير، ستجبر الحكومات على سياسة التقشف، والعمل على بناء سياسات اقتصادية جديدة، مما يسبب حالة من الفوضى والتصادم.

ولأجل أن نكون موضوعين في بحثنا العلمي، كان العامل الخارجي الدور الفاعل في عملية التغيير "وثورات" الربيع العربي، لأهداف غير معلنة بشكل وافي، ننتظر حتى تنتهي الأوضاع في سوريا وما سيقرر لها.

وعليه ستبقى حالة أللاستقرار حتى يتقرر ما سيكون عليه من قبل منْ أثار وهيج الشارع العربي؟

لكن سؤال يفرض نفسه: هل سيدرك حكام ما بعد ثورات الربيع العربي ماذا تريد وتتمنى شعوبهم ؟

أم أن السلطة سوف تنسيهم الدور المطلوب منهم؟

Summary of sociological research "revolutions" Arab spring, analytical study of the verb "revolution"

The psychological environment of the Arab peoples inflated like a balloon, waiting for the right moment of the explosion, since the war 5 / June / 1967. The objective conditions of political, economic, social, and it coincides with the conditions of self, of awaiting the right opportunity.

It was a social worker mug Alli move that moment, transformative, when played the social mores of Arab social role, which represent a slap conditional Tunisian Fadia Hamdi young man Mohammed Bu Zizia burn himself, began the moment of initiating the change in the Arab world, who described the spring Arab, named after the social movements that dominated the Europe in the last century.

الهوامش:

* د. وحيد عبد المجيد: التغيير في مصر، إذا لم يكن عبر الانتخابات .. فكيف يكون؟ مجلة النور،العدد ١٧٠،تموز/يوليو/٢٠٠٥ ،ص ١٠ . وأيضاً أخبار القناة الفضائية فرنسا ٢٤ ، ٢٠١٢/٥/٢٤ ،بمناسبة اليوم الثاني للانتخابات الرئاسية في مصر.

١. قناة bbc العربية، ١٨. ٥. ٢٠١٢ .

٢ . قناةbbc العربية ٢٠/٥/٢٠١٢,

٣ . قناةbbc العربية ٢١/٥/٢٠١٢.

٤ . قناةbbc العربية ٢١/٥/٢٠١٢.

٥ـ د.صادق الأسود: علم الاجتماع السياسي، أسسه وأبعاده، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١، ص ,٩٩

٦. د. بلقيس محمد جواد: محاضرات في علم الاجتماع السياسي، ملقاة على طلبة المرحلة الثانية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، للعام الدراسي ٢٠١٠/ ٢٠١١ .

٧. د احمد علي إبراهيم: الربيع العربي، رياح التغيير وعواصفها نحو أنظمة خالية من الاستبداد، مجلة تضامن، تصدر عن المجلس العراقي للسلم والتضامن، عدد ١٣ ، نيسان/ ٢٠١٢، بغداد، ص ٣ .

٨. مصطلح أطلقه الرئيس ايزنهاور عام ١٩٥٤" مجازيا" لإيضاح الأهمية الإستراتجية لفيتنام، في حالة سقوطها ستنهار جميع الدول المحيطة بها.Www. Arabs.com

٩. سعد البحيري: هل يصبح الربيع العربي خريفاً؟ موقع المنتدى السياسي العربي.

١٠. د.عزمي بشارة: في الثورة العربية والقابلية للثورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة، ٢٠١١، ص ٥٩ .

١١. سعد البحيري: مصدر سابق.

١٢. د.عزمي بشارة: مصدر سابق، ص٦٠

١٣. مجموعة باحثين: الثورات والإصلاح والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، الملفات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة،٢٠١٢ .صص١٢ ،١٣ .

١٤. إيمان أحمد رجب: تقديم في ملحق مجلة السياسية الدولية، اتجاهات نظرية، عدد ابريل ٢٠١١، ص,٤

١٥ـ د.مرشد القبي: قراءة في قراءات الثورة التونسية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسة تقيم حالة، الدوحة،٢٠١١ ،. ص ص٢-٥.

١٦ . د. صادق الأسود: علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص ٢٨١

١٧. د. صادق الأسود: مصدر سابق،ص ٢٨٢ .

١٨. د. مرشد القبي: مصدر سابق، ص ٦،٥،٤ .

١٩. موقع منظمة مراقبة حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية.

٢٠. ألفين توفلر: حضارة الموجة الثالثة، مطبعة الجماهرية، بنغازي،١٩٩٠ ص ص٩٩ وما بعدها.

٢١. بيل غيس: الأعمال بسرعة الخاطرة، ترجمة ومراجعة: د فتحي حمد بن شتوان، ١٩٩٩، موقع:

www. Ibtesama. Com* كان النظام السابق في العراق، قبل التغيير في ٢٠٠٣، يمنع تملك واستخدام الانترنيت والصحن اللاقط وموبايل، ويعرض الشخص نفسه إلى عقوبة مالية وحبس لستة أشهر.

٢٢. ألفين توفلر: المصدر السابق.

٢٣. د.صادق الأسود: مصدر سابق،ص ٥٤٠

٢٤ـ د. أحمد تهامي عبد الحي: لماذا لم تتنبأ العلوم الاجتماعية بالثورات العربية؟، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨٦، القاهرة،٢٠١١، ص٤٩ .

٢٥ـ د. أبو بكر الدسوقي: إقليم جديد يتشكل، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٦، القاهرة،٢٠١١، ص ص٦٠.٦١ .

٢٦ـ د. كمال بن يونس: التهميش الشامل، عوامل اندلاع الثورة ضد بن علي في تونس، السياسة الدولية، العدد١٨٤، القاهرة، ٢٠١١ ، ص ,٥٩

٢٧ـ د. عروس الزبير: الانتفاضات العصية، الخصوصية الجزائرية في استيعاب الاحتجاجات الشعبية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٤، القاهرة،٢٠١١ ص٨٦ .

٢٨ـ د. وحيد عبد المجيد: ثورة ٢٥ يناير "النظام الهش" في مصر، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٤، القاهرة،٢٠١١، ص ,٦٤

٢٩ـ زياد عقل: عسكرة الانتفاضة، الفشل الداخلي والتدخل الخارجي في الجماهرية الليبية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٤، القاهرة، ص ص٧٠ـ ٧٣ .

٣٠ـ د. محمد الصفار:إدارة مرحلة ما بعد الثورة.. حالة مصر، مجلة السياسية الدولية، العدد ١٨٤، القاهرة ،٢٠١١، ص ,١٨

٣١. مقابلة قناة الحرة مع أحمد ماهر، أحدى الشخصيات التي أوقدت شرارة الثورة، ٢٠١٢/١/٢٥ .

٣٢ . إيمان أحمد رجب: طائفية الاحتجاجات: ملامح الأزمة الداخلية والإقليمية لمظاهرات البحرين، مجلة السياسية الدولية، العدد ١٨٤، القاهرة،٢٠١١، ص ٧٥ . وأيضا قناة بي.بي.سي برنامج نقطة حوار، ٢٠١٢/٢/٢٣ .

٣٣. محمد الصفار: مصدر سابق، ص ٢٣ . أن مصطلح الريزومي يقصد به العشب الذي يتوالد بين الأشجار. انه تشبيه فلسفي من قبل الفيلسوف الفرنسي " جيل دولوز" الذي عبر عن كيفية انتشار الأفكار كالعشب الذي لا يزول بقطع جذوره، إذ سرعان ما يتجدد ويتدفق.

٣٤. د. أحمد يوسف أحمد: الثورة المصرية والرهان الخارجي، جريدة الاتحاد، ٢٠١١/٢/١٥ ، ص ٢ .

٣٥ . د.خيري عبد الرزاق: أثر التغيير على مستقبل النظم السياسة العربية، مجلة رؤية، بغداد، ٢٠١١، ص,٢

٣٦. د وحيد عبد المجيد: نهاية الإهانة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣ .

٣٧. صحيفة المصري اليوم: مقابلة مع شقيق الشهيد محمد بو عزيزي، في ٢٠١١/١/١٨ ، وأيضا العربية نت.

٣٨ـ نفس المصدر. أن الشهيد محمد بو عزيزي، أسمه الحقيقي والمدون في هويته الشخصية ، طارق بو عزيزي، وأسم الشهرة محمد بسبوس، من مواليد ١٩٨٤/٣/٢٩، ثم أنه لم يكمل دراسته الثانوية، عكس ما أشيع بأنه خريج جامعي.

٣٩ـ شهداء مصر " ٨٤٦"، شهداء تونس" ٣٤٠"، شهداء اليمن" ٦٤٠"، شهداء ليبيا" ١٠٠٠٠"، شهداء البحرين"٥٠". هذه الأرقام نشرت على موقع:.www.Fajrbh.com

أما أخبار قناة الحرة عراق في ٢٠١٢/٥/٢٣، أعلنت بناءاً على تصريح ليبي رسمي، بأن عدد الشهداء الليبيين هو:" ٣٠٠٠٠" شهيد.